تعليم اللغة العربية في ضوء النظرية اللسانية -قضايا ومقترحات-

Teaching Arabic in the light of the linguistic theory -Problems and Solutions-

د. جمعة نعامي

مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب،جامعة قاصدي مرباح ورقلة

tacwaallah30@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/07	تاريخ القبول: 2022/05/09	تاريخ النشر: 01/ 2022/06

Abstract:

This research paper will focus on touching on the essence of the problematic of teaching the Arabic language, and the role of the linguistic theory with its perceptions, starting with the important change of the deliberative approach and the linguistics of the text through the theory of cognitive linguistics, because the approaches that these sciences brought in reflected on building educational curricula of languages; and more problems were presented than provided answers This is due to several reasons, including the problem of translating the linguistic term in the educational field, and the characteristics of the Arabic language are among the most important obstacles in receiving concepts from the culture of the other, in addition to the fact that the nature of the human language varies in its grammatical appearance, and the appearance of the whole My mother, who differs greatly when we want to formulate a grammatical and cosmological theory; does not negate the appearance of different tongues.

Keywords*:Teaching Arabic, Curricula, Linguistic Theory, Problems, Solutions, and Variation of Tongues*

ملخص البحث

إن نتائج النظريات اللسانية ومناهجها يتوقف في مدى ملامسه الخصائص الهامة للمعرفة اللغوية بما فيها الاختلاف الألسني، وبالرغم من أن النظرية اللسانية مهامها الأول إعطاء صيغة منطقية دقيقة لوصف اللساني البشري، فإن هذه الأخيرة تستدعي الانتباه إلى الواقع الفعلي للغة بشكل عام وللغة العربية بوجه الخصوص.

ستركز هذه الورقة البحثية على ملامسة جوهر الإشكالية الخاص بتعليم اللغة العربية، ودور النظرية اللسانية بتصوراتها بدءا من التغير الهام لمنهج التداولية ولسانيات النص مرورا بنظرية اللسانيات المعرفية، لأن المداخل التي أتت بها هذه العلوم انعكست على بناء مناهج تعليمية اللغات؛ وطرحت إشكالات أكثر مما قدمت أجوبة، ويعود ذلك إلى عدة أسباب،من بينها إشكالية ترجمة المصطلح اللساني في حقل التعليمية، كما تعد خصائص اللغة العربية من بين أهم العوائق في تلقى المفاهيم من ثقافة الآخر، بالإضافة إلى كون طبيعة اللغة الإنسانية تتنوع في مظهرها القواعدي، والمظهر الكلامي، الذي يختلف كثيرا عندما نريد صياغة نظرية نحوية وكونية؛ لا تلغي مظهر اختلاف الألسن.

الكلمات المفتاحية: تعليم اللغة العربية، مناهج، النظرية اللسانية، الإشكاليات، الحلول، اختلاف الألسن.

مقدمة:

مما لا شك فيه أن من الغايات الكبرى في تعليم اللغة العربية هو الوصول إلى تحصيل الملكة اللغوية بما فيها المهارات المتعلقة بها وهي مهارة الاستماع، والتحدث والقراءة والكتابة، فاللغة العربية بحكم تاريخها وانتشارها، والمجالات الحيوية التي تحيا فيها بخاصة القرآن العظيم أثبتت أن تحقيق الملكة اللغوية أو ما يسمى بالكفايات اللغوية، سيستدعي تطوير أساليب وطرائق تعليمية للغة العربية، وبناء آليات معاصرة واستراتيجيات دقيقة للوصول لهذه الأهداف.

وقد بات من الجلي عند ثلة من الباحثين أهمية الشروط التواصلية التداولية والشروط المعرفية في تحقيق تعلمها وتعليمها. ونظرا لهذه الرؤى الجديدة والإجراءات العلمية في طرائق تعليمية اللغات ارتأينا أن نسلط الضوء حول أهمية النظرية اللسانية ودورها في تعليم اللغة العربية، وعليه سنعالج الموضوع وفق المحاور الآتية وهي ؛ طبيعة إشكالية الموضوع؛ مفهوم النظرية اللسانية وشروطها؛ النظرة التراثية؛ تعليمية اللغة العربية(مفاهيم أولية).

الإشكالية:

إن نتائج النظريات اللسانية ومفاهيمها الإجرائية، يتوقف في مدى ملامسه الخصائص الهامة للمعرفة اللغوية بما فيها الاختلاف الألسني، وبالرغم من أن النظرية اللسانية مهامها الأول إعطاء صيغة منطقية دقيقة للوصف اللساني البشري، فإنها تستدعي الانتباه إلى الواقع الفعلي للغة بشكل عام وللغة العربية على وجه الخصوص وهذا ما يستدعي أيضا الالتفات إلى النظرية اللسانية التراثية بخاصة عند الجاحظ؛ وابن خلدون إذ المتمعن في مقدمته يجد الأثر البارز والرؤية الواضحة لخصائص الملكة اللغوية، وهي الخصائص النفسية والعقلية، والاجتماعية والتعليمية فيما يتعلق باللسان العربي، أو اللسان البشري على العموم.

رغم ذلك كله فإن هذه الورقة البحثية ستركز على ملامسة جوهر الإشكالية الخاص بتعليم اللغة العربية، ودور النظرية اللسانية بتصوراتها بدءا من التغير الهام لمنهج التداولية ولسانيات النص مرورا بنظرية اللسانيات المعرفية، لأن المداخل التي أتت بها هذه العلوم انعكست على بناء مناهج تعليمة اللغات. و الأمر كذلك، متعلق بالبحث عن طريقة مثلى منهجية، وعلمية دقيقة، في تعليم اللغة العربية لأهلها وللناطقين بغيرها، لذلك يتطلب المشروع المزيد من الأبحاث التي تراعي الإشكاليات السابقة، كما أن مراعاة الترجمة الصحيحة للمفاهيم في حقل تعليمية اللغة العربية يتطلب كذلك تكافل عدة جهود على صعيد فكري فلسفي؛ وعلى صعيد لساني كذلك.

1.النظرية اللسانية وتعليم اللغة العربية إشكالات وقضايا:

أضحى جليا في الدراسات الأكاديمية التطور الذي تشهده النظريات اللسانية ، وفيما نعتقد أن لبّ الإشكالية الذي تبديه القضية حول علاقة النظرية اللسانية بتعليم اللغة العربية يتجلى في الأساس على ضرورة:

1-1-إدراك الخاصية التي تتميز بها لغتنا الشريفة سواء، من الناحية اللغوية من صوت وصرف وتركيب ودلالة أو من الناحية المعرفية التي يدخل فيها المعتقد والدين والثقافة ، وهو آخر ما توصلت إليه البيداغوجيات الحديثة.

2-1-الخاصية المعرفية والنفسية للغة الإنسان ، حيث أن أهم ما أخذت تعليمية اللغات من اللسانيات التطبيقية، تلك الفروع المعرفية المتعلقة بعلاقة الإنسان بلغته؛ من الناحية النفسية، والناحية الاجتماعية والناحية الاقتصادية والعصبية البيولوجية وغيرها مما هو مطروح في قضايا اللسانيات المعرفية.

3-1-إدراك الخصائص المعرفية للغة الإنسانية بشكل عام يضعنا في الطريق الصحيح، لإيجاد نظرية متكاملة تستطيع وصف الطرائق، وبناء المناهج ، وتحديد المحتوى.

ولهذه الأسباب ولأسباب أخرى يتبين لنا أن ما هو مكتشف ومطروح أضحى جليا أمام الدارسين أن العلاقة بين شروط النظرية والمقترحات التي تقدمها في وصف اللغة الإنسانية بشكل عام، واللغة العربية بشكل خاص محكومة بالانسجام الذي تحدثه بين نتائجها والواقع اللغوي:

2.النظريات اللسانية وطبيعة اللغة الإنسانية:

2-1مفهوم النظرية: الشروط والمبادئ والموضوع

الظرية: " هي بناء فكري تأملي ترتبط فيها النتائج بالمبادئ أو بالمقدمات... في عصر النهضة بدأت المعرفة العلمية بالظهور وفق قوانين ومعايير جديدة ودقيقة فأطلق تعبير نظرية على ذلك النوع من المعرفة الذي يفسر جوانب من الواقع..."[1] ، ويشترط في النظرية اللسانية عدة شروط هي: العلمية، والملاحظة، ووضع الفرضيات، وفحصها والتجريب والدقة والشمولية[2].

فكل نظرية إذا هي نسق منطقي ضمن ظاهرة معرفية معينة، تشترط الانسجام الداخلي، والقابلية لتفسير مشكلات واقعية جديدة.

2-2-تطور النظرية اللسانية:

لكن بتطور المعرفة الإنسانية عرفت النظرية اللسانية تحولات عديدة نفرد أهمها كالتالي:

2-2-1-التحول الذي عرفه الفكر الفلسفي:

فبعد أن كان يبحث في ماهيات الأشياء ، صار يبحث في الكيفيات والعلاقات ، ثم في وظائف الأشياء وهو ما عرف بالاتجاه النفعي البراغماتي، فليس بعيدا أن تطرح التداولية نظرة أخرى للغة الإنسانية[3].

وهو ما تقدم به كل من فيتغشتاين، وفيرجيه، وكارناب وغيرهم وجوهر فكرة هؤلاء أن اللغة لا يمكن اعتبارها شكلا صوريا منطقيا، أو صيغا لفظية خالية من الروح، بل اللغة بالدرجة الأولى هي تعبير عن مقاصد، تخضع للظروف والسياقات الاجتماعية، أي أنه لا يمكن عزل اللغة عن هذه المتغيرات، فاللغة مثلما تعبر هي تغير أيضا على حد قول أوستين " ليست تقديم صورة صادقة أو فاسدة عن واقع معين للأشياء ، وإنما هي إنشاء ذلك الواقع بموجب عملية التلفظ ذاتها...[4].

2-2-3-الدراسات عبر التخصصية:

وهو ما يعرف بتداخل العلوم في دراسة الظواهر اللغوية، مثل علوم المنطق والاتصال والذكاء الاصطناعي وعلم النفس المعرفي إلى غير ذلك، ومقام ذلك أن الظاهرة مهما كانت طبيعتها هي دوما تخضع لذلك التكامل، وليست مجزأة، وهذا ناتجه تقدم النظريات في العلوم التجريبية والنظرة الوظيفية للأشياء[5] بخاصة ميدان علوم الفيزياء ، فكثيرة هي التصورات التي عرفت تقويضا ممن تقدموها ، لأن مبدأ فصل الأشياء هو مبدأ منهجي لا غير، لذلك اتجه إلى تحليل الظاهرة وهي في الواقع وكان لزاما أن يتدخل أكثر من منهج، وأكثر من علم. أما في ميدان اللغويات فقد عرف تيار التداولية بنظرته الخاصة حول طبيعة اللغة البشرية والمفهوم الواسع

للتداولية دراسة اللغة وهي في الاستعمال؛ ومن أبرز المفاهيم التي تقوم على تشخيص الجانب الاتصالي والحواري في اللغة[6] هي:

-الأفعال الإنشائية.-والإشاريات. -والحجاج -القصدية -والاستلزام الحواري.

وقد بينت العديد من الدراسات أهمية الأسلوب التداولي في تعزيز تعليمية اللغات، فالتداولية تبرز ذلك الجانب الحي من اللغة، وهو التحدث؛ كما أن شروط الكلام واستعمال الأساليب الحجاجية[7] في الحوارات والمناقشات يزيد المتعلم تحصيلا لملكة التعلم سواء تعلق الأمر بالمعارف أو اللغة بشكل عام، وعليه فإن هذا النوع من الخطابات الحجاجية له أهمية كبرى إذا ما استغل بشكل عام في تنمية المهارات التفكيرية، والطرق الاستدلالية المناسبة.

وظهور التداولية قد تزامن بما يعرف بالنص أو الخطاب[8] ، وقد حظيت المنظومة التعليمية بشكل عام بكثير من الدعائم المهمة في مجال أساليب وطرائق التعليم، إن نظرية النص لا يمكن حصرها في مستوى التماسك والانسجام فقط، بل في مستوى المنطوق وهو النص يخضع للكثير من التخطيطات[9] ؛ بدأ من المقاصد، مرورا بالمعاني والتركيب إلى المرحلة النهائية وهي الانجاز ثم التلقي الأمثل؛ وعليه فإن الاهتمام بهذه المراحل كما نوه علي أحمد مدكور في كتابه تدريس فنون اللغة العربية هو صلب العملية الكلامية، أو التحدث، وتظهر أهميته في النقاط الآتية:

-التعبير عن شخصية الإنسان، وهو أسلوب للتعريف بالذات.

-إلقاء كلمة في المناسبات والملتقيات الرسمية.

-مناقشة الأساتذة وتبادل الأفكار بأسلوب منطقي ومنسجم.

-إلقاء المحاضرات العلمية.

- القدرة على الاستدلال والمحاورة والمناظرة في الملتقيات العلمية...إلخ

2-2-4- تغير موضوع النظرية:

تتخذ اللغة في الدراسات المعاصرة موضوعا بيولوجيا؛ تدرس اللغة داخل الذهن البشري؛ وهو ما يعرف باللسانيات المعرفية، وهذه النظرية قد أفادت بشكل عام من حقل علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي.

2-2-5-اللسانيات المعرفية: فهم خاص للملكة اللغوية(التعلم والاكتساب)

ونعني بذلك أنَّ تحديد مصطلح" المعرفية connaissance" من الصطلحات الأخرى المجاورة له مثل "العرفانيةknowledge" أو الإدراكيةperception " أو "العرفنية cognition " (مصطلح اختص به الباحث الأزهر الزناد وله مبرراته المنهجية والعلمية عن سبب الاختيار[10].

ستؤدي بالضرورة إلى ملامسة أهم المنطلقات التأسيسية عند اللسانين العرفانيين في مجال الملكة اللغوية، وإذ يمثل أهم فرق بين المعرفية والعرفانية؛ أن الأولى مؤسسة بما تطور في مجال العلوم المعرفية-علم النفس المعرفي، والذكاء الاصطناعي، والعلوم العصبية، والمعلوماتية، والبيولوجيا وعلم الأحياء، وعليه فالاسترسال الدلالي لمصطلح "المعرفية "يحيل إلى المفاهيم الآتية:

-أن تعكس مبادئ الأبنية اللغوية المرموزة في الذهن البشري ما توصلت إليه هذه العلوم.
-امتزاج الفكر بالجسد أو ما يعرف بحلول النحو واللغة في الأراضي العصبية[11].

في حين يحيل "العرفانية "بما يمكن إعادته إلى العرفانية الأفلاطونية -بَنَى تشومسكي نظرية الملكة اللغوية على هذا الإشكال: وهو طبيعة المعرفة الإنسانية وعلاقتها باللغة[12].

أو ما يعرف –ونحن بصدد الملكة اللغوية المعرفية –عن السؤال المطروح: وهو كيف يمكن للإنسان المحدد العمر والشخصية أن يدرك الكم الهائل من المعارف في العالم الكبير وكلها تحيل إلى الثنائية المعروفة ،عالم المثل وعالم الحس.

وأما عن مصطلح "الإدراكية "وهي مجموعة التصورات، المتعددة الرؤى والتوجهات، للنظر في الظاهرة اللغوية، والعالم والزمان والجسد وغيرها.

وهذا ضمن" جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تظافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب(علوم الدماغ) واللسانيات والأنتروبولوجيا. وتدرس العلوم العرفنية الذكاء عامة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله وتعني كذلك بمنولته وتبحث في تجلياته النفسية واللغوية والأنتروبولوجية (إمبار1992)." [13].

وعرف هذا التعدد المصطلحي جدلا واسعا بين الباحثين اللسانيين العرب، لكل منهم مبرره في الاختيار؛ سواء ما تعلق بالمبرر اللغوي، أو الابستمولوجي(فلسفة العلوم)، أو المنهجي النظري.

ويمكن أن نميز من بين أهم مفاهيم هذا الأساس؛ مفهوم "الآلية الاستعارية (كان لأسلوب جورج لايكوف ومارك جونسن في كتابهما"الاستعارات التي نحيا بها" ترجمة عبد المجيد جحفة، فضل السبق في بسط وملمة الكثير من الاقتراحات الجديدة في تحليل الاستعارات على غرار التحليل الكلاسيكي، واللسانيات الإدراكية بوجه عام.

للفكر المجسدن ".

إنَّ ما يوصلنا إلى علاقة الملكة اللغوية بالفكر المجسدن، أنَّ التصور القديم يعتبر الفكر يعمل في فهم الاستعارة انطلاقا من سيرورات ذهنية تنتقل من المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي- وهي في اللسانيات العامة ليست مجالا للدراسة- لأن العقل الذري- (العقل الذري في مقابل الفكر الجشطلت، فالأول يمكن صياغته رياضيا ومجاله القضايا التي تقبل الصدق، وهو قائم على أساس المنطق الصناعي، والثاني يفترض أن الفكر قائم على أرضية بيولوجية، أي أن أنظمة الفكر نشأت من تجربة الفرد الجسدية في العالم) - يقوم على الحقيقة- في حين أن النظرة المعرفية للاستعارة تؤكد على الطبيعة الاستعارية التي يقوم عليها فكرنا، ولنوضح أكثر لنا أن نلاحظ أنَّ الاستعارة نستعملها حتى في حياتنا اليومية من ذلك، حرب جدال، وباغته النعاس، وشربت من وعاء علمه، و رحلة الحياة،...الخ.

وتقوم الاستعارة على مبدأ الإسقاط وهو إسقاط صورة مصدر على صورة هدف ؛ "وهي جملة من التناسبات الثابتة، ما بين الوحدات في المجال المصدر والوحدات الهدف.." [14].

.وأساس التناسب في ذلك هو التجربة الحسية الواقعية، وفي المثال المأثور ذكرنا" السنة القادمة"، ويسميه المعرفيون "الاسقاط التزامني"، فالزمن له اتجاه(الأمام)ن وله حركة(القادم)، وله اتساع وأوصاف فضائية أخرى مثل الطول والعرض...الخ

وتبقى هذه الرؤية واحدة ضمن أهم ما يعرف عند المعرفيين في دراسة علاقة اللغة بالإدراك من جهة ، وعلاقتها بالتناسبات الرياضية الكمية، والمنطقية المجردة، والبيولوجية الوراثية، في بناء هذه الافتراضات التي تصف عمل الملكة اللغوية في الذهن البشري، وتصور الدلالة والمعنى بما هي قائمة في أذهاننا؛ إلا أن ناتج هذه المقترحات تصوب حول حوسبة اللغة ورقمنتها، بل العديد من البرمجيات التعليمية حاليا تستعمل هذه الرؤى في ميدان صناعة تعليم اللغات وتعلمها ، لكن المشروع ما يزال قيد البحث بخاصة الدلالة المعرفية.

يعد تشومسكي هو من أبرز من تكلموا عن طبيعة المعرفة اللغوية، وطبيعة اكتسابها ؛ومعاصروه من المعرفيين ما زالوا حتى الآن لم يصلوا إلى نتائج يقينية تقدم لنا نظرية متكاملة عن عمل الملكة اللغوية داخل الذهن البشري، أو حتى وصف نظامها؛ ويعود الأمر كله لطبيعة المعرفة الإنسانية النفسية والمعرفية بالدرجة الأولى، لكن في الوقت نفسه وبالتوازي فإن مجال تجديد الطرائق وتحديد المحتويات وبناء المقررات في مجال تعليمية اللغات يستند إلى إبراز المستوى النفعي والحاسوبي للغة البشرية- نقصد بذلك ريضنة اللغة في نهاية النظرية وفي تطبيقها، فالتعليم اللغوي الآن يصوغ لنفسه أن يصنع اللغات داخل الأجهزة الحاسوبية، والتقنية إلا أن الجزء الذي يواجه هذه الصناعة هو كيفية التعامل مع السياقات والمواقف غير المبرمجة في الجهاز الحاسب[15].

وهذا يضعنا أمام مناقشة الكثير من القضايا أبرزها النظر إلى نتائج هذه النظريات فهل تعلم اللغة يعتمد على تنمية وبناء الداخل أو يعتمد على المستوى المادي الخارجي المتعلق بالأساليب والطرائق وغيرها من عناصر العملية التعليمية التعلمية ككل؟

إن الإجابة عن تساؤل كهذا يستدعي منا المرور على الطريق الطويل المتضمن فلسفة اللغات ونشأتها، إلا أنّ علينا أن نفهم مثلما نوهنا طبيعة المعرفة اللغوية البشرية أولا ليتضح لنا علاقتها بالمستوى المنطقي الإدراكي وعلاقتها بالمستوى الاجتماعي والثقافي والبيداغوجي وغيره.

3-النظرة التراثية للتعلم وتعليم اللغة العربية:

ليس بعيدا أن يتطرق علم هو ابن خلدون (732هـ-808هـ)- والذي يعود إليه تأسيس علم الاجتماع - وأن يلتفت إلى قضايا عديدة في نظرية المعرفة ، منها خاصية اكتساب هذه اللغة الشريفة، وذلك لأنه عاصر وفهم أهم خصائصها المتعلقة بالعمران والجغرافيا، وعلاقتها بالمعتقدات وعلاقتها بالمجتمع والسياسة ، أي علاقتها بتعلم العلوم النظرية والعملية ككل، وهذا يوضح لنا إدراكه وتفطنه للكثير من القضايا حول التربية والتعليم وغيرها.

وعلى من تقدموا ابن خلدون، تبقى القائمة مفتوحة، لمن يريد استجلاء النظرة التراثية، لأسس التربية والتعليم، فقد ننسى علما آخر في القرن الثاني للهجرة ؛ أرسى دعائم، البيان، ويمكن أن نعد نظرية الجاحظ من البدايات الأولى في التفكير اللساني، وإرسائه للكثير من الدعائم التي تركز على الخاصية التطبيقية للسان، ومما هو معروف عن الجاحظ بأنه تكلم في العديد من المسائل الخاصة، بعيوب النطق والكلام، كما تحدث أيضا عن اللهجات الاجتماعية، ولم ينس كذلك الشروط الحجاجية للبلاغة والكلام والخطابة، بخاصة في مؤلفاته البيان والتبيين والحيوان والرسائل:

3-1-طريقة المناقشة والحوار والاستعمال في اكتساب العلوم منها تحصيل الملكات.

3-2-اللغة خطاب اجتماعي بالدرجة الأولى، وهذا أمر مهم في تبني لغة ما وموقفه منها، والدفاع عنها والدافعية والرغبة الشديدة في تعلمها، وقد ذهب هذا المذهب الجاحظ بقوله:"وكل شيء للعرب إنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكرة، ولا استعانة. وإنما هو أن يصرف وَهْمُه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة والمنافلة، أو عند صراع أو عند حرب...فتأتيه المعاني

أرسالا، وتنثال الألفاظ عليه انثيالا، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحدا من ولده. وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون،...."[16].

3-4-الطريقة النصية ومقاييس اختيار النصوص، لأن تحصيل هذه الملكة يجري" بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه"[17].

مما تجدر الإشارة له أن النظرة اللسانية التراثية، قد عمقت مفهوم كل من المتعلم والمعلم، وهو مبحث مهم يحتاج وقفة فاحصة حتى يمكن تصور ملامح وخصائص هذين العنصرين في العملية التعليمية؛ واللافت، أن هذا التصور نبع من التحليل اللغوي عند علمائنا ضمن بيان خصائص الكلام، والمتكلم، المتلقي، وشروط البلاغة وغيرها ؛ و فيما نعتقد أن اهتمام علمائنا منبعه وعيهم لأهمية اللسان في تحصيل العلوم، والتي تعود على المعلم أو المتعلم بالخبرة المعرفية مهما كان نوعها.

4-تعليمية اللغة العربية:

نلاحظ في الأدبيات اللسانية العربية أن هناك تعددا مصطلحيا لمصطلح" تعليمية" من ذلك علم التدريس؛ علم التعليم؛ أو المصطلح المعرب ديداكتيك إلى غير ذلك من المصطلحات المعروفة.[18]، وقد ظهر هذا المصطلح في فرنسا "واستعمل ليقدم الوصف المنهجي لكل ما هو معروف، وفي سنة 1667م، وظف في المجال التربوي، كمرادف لفن التعليم أو التعليمية أو الديداكتيك أو علم التدريس، وهو علم موضوعه دراسة الطرائق وتقنيات التعليم، أو هو مجموع النشاطات والمعارف التي نلجأ إليها من أجل إعداد وتنظيم وتحسين مواقف التعليم"[19].

وعند رشدي طعيمة التعليم" عملية إعادة بناء الخبرة restructuring التي يكتسب المتعلم بواسطتها عناصر البيئة المحيطة بالمتعلم بكل ما تتسع له كلمة البيئة من معان من أجل خبرات تربوية معينة"[20].

وما دام **التعليم** أو التدريس" هو الاتجاه نحو الانتقاء ؛ أي اختيار ما يبدو أنه الأفضل من مختلف الطرق والأساليب ، فلا ينبغي الاعتماد على طريقة واحدة"[21].

من هنا فإن هذه الطرق معقودة بضرورة بناء خطة يكون وفقها تزويد المتعلم بالمعارف قصد تحقيق غايات وأهداف عامة " عريضة مرتبطة بأهداف خاصة مفصلة في منطقة تعلمية أو مدرسة معينة"[22] وهو ما يدعى ب" **المنهاج**"، ومثلما هو معروف في مجال التعليمية فإن المنهج يرتكز على أربعة مكونات[23].

: هي الأهداف والمحتوى وتنظيمه، وطريقة التدريس، والتقويم.

والمحتوى "...يصف بعض الخبراء خبرات التعلم بأنها مجموع العمليات التي يقوم الطالب بها في أثناء تعامله مع محتوى المنهج.فالمحتوى في رأيهم إذن يعني المادة التي يشتمل عليها المنهج، بينما تعني خبرة التعلم عملية التفاعل" [24].

إن المحتوى الثقافي والاجتماعي كفيل بأن يحدد عدة مهارات أو ملكات تساعده على ممارسة لغته دونما انفصال مع واقع اللغة، ونعني بذلك تنشيط مستويات معرفية ومنطقية عليا مثل الخيال والإدراك والحفظ والفهم والتفكير وغيرها من مجالات معرفية هي محل نقاش واسع في اللسانيات والعلوم النفسية المعرفية، وهو ما دعا الكثير من النظريات التعلمية التعليمية تبني أفكار هذه النظرية، وذلك كله يعود إلى الاهتمام بالإنسان أي" **المتعلم**".

ويعرف مفهوم المعلم والمتعلم في الأدبيات البيداغوجية والتعليمية الحديثة تغيرا نظرا للمنطلقات المعرفية والعلمية التي شهدتها شتى حقول المعرفة الإنسانية كما نوهنا بداية هذا الحديث ؛ **فالمتعلم**" يبلغ ويلقن ويتطلب" الإنصات النشيط، والتذكر، وهو على الأخص تنظيم المعارف، والربط بينهما"[25].

لكن تبقى هذه التصورات وغيرها غير واضحة ودقيقة، نظرا لأن **المعلم** قد لا يكون لا وسيطا ولا حاضرا.

جدول(1) يوضح المفاهيم التعليمية بين البيداغوجيا الكلاسيكية والبيداغوجيا الحديثة[26]

النموذج التقليدي	النموذج الحديث
تعليم/تبليغ	بناء

التعليم	تكوين
معلم	وسيط
تلميذ	متعلم
برنامج	المقرر
درس	جهاز
مفهوم	مفهوم
ذاكرة	ذاكرة
معارف	كفاءات
مراقبة	تقييم
نقل	تثقيف

1-4-إشكالية تعليمية اللغة العربية:

بداية بالنسبة لاقتران مصطلح تعليمية باللغة أو اقتران مصطلح تعليم باللغة بوجه عام واللغة العربية على وجه الخصوص فإن الأمر مختلف إذ يتعلق مصطلح تعليمية هنا بمعرفة خاصة هي المعرفة اللغوية.

وتعلم اللغة العربية هو إلف الأصوات العربية، والتمييز بينها ، ينضاف إلى ذلك فهم العناصر اللغوية للتراكيب و إدراك العلاقات النحوية، بالإضافة إلى إدراك الدلالات والاستعمال التداولي الأنجع لهذه اللغة في مختلف المواقف التعلمية التعليمية والاجتماعية[27].

يظهر من هذا المفهوم أن اللغة والأداء مستويان هما:

-مستوى الأداء اللغوي ويتعلق الأمر بالكفاية اللغوية ، أو المعرفة القواعدية للغة.

-و مستوى الفهم والإفهام ويتعلق الأمر بأسباب داخلية هي فهم معنى التركيب اللغوي بغض النظر عن مستوى الفصحى المطلوب في أداء كلام المتكلم.

لكن رغم ما يمدنا به السبب الثاني من أدلة منطقية تبقى:

الكفايات اللغوية: " محور الإعداد لدخول الكليات لأجيال متعددة" [28].

فسوف تكون ضرورية كلا من مهارة الاستماع والتحدث، والقراءة والكتابة جسرا لإنجاز المتعلم التقارير والأبحاث، والمناقشات وتبادل الأفكار والتصورات والحجج..

مثلما ينوه رشدي طعيمة بقوله" يستكثر أهل الخبرة والاختصاص على الرأي العام أن يخوض في قضية تعليمية هي من صميم عملهم ، وتمثل شغلا شاغلا لهم"[29].

5- الحلول المقترحة للإشكاليات المطروحة :

فيما نعتقد تتمثل الحلول المقترحة في النقاط التالية:

5-1 -الاهتمام باللغة العربية بوصفها خطابا اجتماعيا بالدرجة الأولى.

5-2-تربية النشء وتزويده بالمعرفة اللغوية من خلال حفظ القرآن الكريم، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن الأطفال الذين حفظوا كتاب الله تعالى، هم أكثر الأطفال الذين يتمتعون بمعجم ذهني عال وملكة لغوية كذلك، على عكس غيرهم ممن لا يحفظون.

5-3- أما في ما يخص الطرائق المناسبة للتعليم فإن من أنجع الطرائق لذلك هي الطريقة النصية، ومقاييس اختيارها، ذلك لأن الطريقة النصية هي خزان معارف تناسب الخصائص النفسية والبيولوجية للإنسان، إذ أن المعرفة اللغوية عند الإنسان لها علاقة بالمعارف الأخرى التي يستقيها من الكون المسخر له، وهو ما تصرح به اللسانيات المعرفية وإن كان الأمر يتعلق بعناصر الإدراك والفهم والحفظ والتذكر وغيرها، ومثلما هو قار في تعليمية النصوص، فإن المتعلم يتلقى نصوصا وليس قواعدا.

5-4- ومنه وبظهور نحو النص -الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص له العديد من المبررات أهمها: الاهتداء إلى الوظيفة التواصلية للغة في المجتمع، وإلى الاستعمال الأمثل ضمن النصوص البلاغية والحجاجية في المقامات المتعددة.- مقابل نحو الجملة عند تشومسكي، اتسع المجال إلى مسارات نظرية أخرى، عمقت مفهوم الكفاءة اللغوية إلى الكفاءة التواصلية التداولية والمعرفية التأويلية؛ وأصبحت الطريقة النصية في تعلم اللغة أقرب إلى طبيعة الملكة اللغوية من حيث تعقيدها.

5-5- التعلم والتعليم في ضوء الملكات اللغوية، يتوقف على الطرائق التي تتجدد بصورة هائلة مثلما يوضح عبد السلام المسدي[30] ، ذلك أنه فن وأداء وليس قوانين رياضية مصورنة؛ وأثبت الدراسات النفسية التربوية انطلاقا من نتائج علم النفس المعرفي، على استراتيجيات الكفاءات، فالتعليم النشط" والتعلم العرفاني هو بناء نشط للمواد العرفانية بصفة إستراتيجية انطلاقا من المعلومات من المحيط يولد منها المتعلم معارف جديدة يدمجها في المعارف السابقة المخزنة في الذاكرة" [31].

بل" ويضع افتراضات، ويتخذ القرارات، ويربط نتائج عمله بالبنية العرفانية، وينظمها خطيطات،"Sheema" نتائج ذهنية"[32]؛ وقد بينا بجزء يسير على الطرح المعرفي الذهني، والتفكير الاستعاري؛ وهي نقلة تحدد أن تعلم اللغة يكون بما هو مسخر من محيطه، وأنظمته المعرفية، فالكائن الذكي هو" الكائن الذي يستعمل تلك المعرفة لأداء أعمال وفق ما تقتضيه حاجاته وظروفه على وجه يخطط له ويتحكم في مساره، ويمثل المحيط مصدرا للمعلومات تستقي منه بتوسط الموارد الحسية كالإبصار والسمع واللمس.." [33]؛ وهذا من مظاهر اجتماعية الكائن البشري كما هو مستقر وثابت.

خاتمة:

تتوقف نتائج استفادة تعليم اللغة العربية من النظرية اللسانية على إدراك خصائصها اللغوية بالدرجة الأولى لأنها لغة اشتقاقية وليست لغة إلصاقية مثلما هو الحال في اللغات الأخرى كالفرنسية، والانجليزية.

كما أن العودة لتعليم اللغة العربية لأهلها وللناطقين بغيرها يتوقف كذلك على مدى استيعاب المتعلم لها لخصوصيتها المعتقدية وخصوصيتها الثقافية؛ وهذا ما أفرزته الكثير من النظريات اللسانية المعرفية، والبيداغوجيا المعاصرة.

هوامش المقال:

[1]-الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي الاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2000، ص603.

[2]- العناني وليد أحمد، حافظ إسماعيلي علوي. (2009). أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات. ط1. الدار العربية. ناشرون، ص105-108.

[3]- ينظر: جواد ختام جواد، (2016). التداولية أصولها واتجاهتها. ط1. دار كنوز المعرفة، ص19، وينظر: صحراوي مسعود. (2000). التداولية عند علماء العرب. ط1. دار التنوير –الجزائر، ص41-69.

[4]- عبد الهادي الظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ،دار الكتاب الجديد ، بيروت – لبنان ،ط1، 2004، ص18.

[5]- ينظر: هانز ريشبناخ، ترجمة فؤاد زكريا، (2007). نشأة الفلسفة العلمية. ط1. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الإسكندرية، ص229.

[6]-ينظر: جواد ختام جواد، (2016). التداولية أصولها واتجاهتها، ص19.

[7]- ينظر المراجع الآتية: عبد الرحمن طه.(2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2. المركز الثقافي العربي، و عبد الرحمن طه،(1998). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء-بيروت. وعشير عبد السلام ، (2004). عندما نتواصل نغير(مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج). افريقيا الشرق. الدار البيضاء-المغرب.

[8]-ينظر: صبري خالد حميد، (2015). اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة. ط1. طبع في لبنان، ص54-58. وبوقرة نعمان، (2009). المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ط1. جدارا. عمان- الأردن، ص11-31.

[9]- ينظر: مدكور علي أحمد ، تدريس فنون اللغة العربية، دار الشواف، الرياض، دط، دت، ص106.

[10]- (IPublié il y a 22nd April 2012 par lazhar zanned).

[11]- ينظر: غسان إبراهيم، عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، كلية الآداب، بينبع، السعودية جامعة طيبة، ص6-8، بحث على الرابط التالي:
https://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_research-1060911537-1408969949-507.pdf.

[12]-ينظر: نعوم تشومسكي. بن قبلان المزيني حمزة، (1990). اللغة ومشكلات المعرفة. ط1. الدار البيضاء-المغرب، ص16.

[13]- الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفنية. منشورات الاختلاف، ص15.

[14]- الزناد الأزهر، ص157.

[15]- المرجع نفسه، ص18.

[16]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت – لبنان، دط، 2003، 3/425-426، وكلمة(أرسالا) تعني أفواجا، و(يمتح) في مادة البيان العربي؛ من متح الماء أي نزعه، ومتح الدلو وبها أي استخرجها، أما كلمة(انثال) فهي من نثل وانتثل البئر أي استخرج ترابها.

[17]- تاريخ العلامة ابن كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ومن عاصرهم، من ذوي السلطان الأكبر، وهو تاريخ وحيد عصره، العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان،، ط2، 1979، 1086/1.

[18]- ينظر: نظير دروزه أفنان، (2007)، النظرية في التدريس وترجمتها عمليا، دار الشروق، ط1، عمان-الأردن، ص35-36.

[19]- الحثروبي، (2012).الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي.دط. دار الهدى،الجزائر، ص126.

[20]- - طعيمة رشدي أحمد. (2000). الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية. ط2. دار الفكر العربي. القاهرة-مصر، ص27؛ وينظر: الدريج محمد،(2003)، مدخل إلى علم التدريس تحليل العملية التعليمية.دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، ص23-25.

[21]- شحاتة حسن، (2016).إستراتيجية التعليم والتعلم الحديثة وصناعة العقل العربي. ط4. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة-مصر، ص15.

[23]-ينظر: طعيمة رشدي أحمد، (2000). الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية. ط2. دار الفكر العربي. القاهرة-مصر، ص28.

[24]- طعيمة رشدي أحمد، (2000)، ص129.

[25]- عمار عبد الرزاق،(2014). المعرفة وبناء المعرفة. دط. دار سحر. تونس، ص374.

[26]- عمار عبد الرزاق، (2014)، ص371.

[27]- ينظر: طعيمة، (2000)، ص115.

[28]- طعيمة، (2000)، ص67.

[29]- طعيمة، (2000)، ص118.

[30]- ينظر: المسدي عبد السلام،(1986 أوت). اللسانيات وأسسها المعرفية. الدار التونسية، ص136.

[31]- عمار عبد الرزاق،(2014)، ص151.

[32]-عمار عبد الرزاق، (2014)، ص157.

[33]- الزناد الأزهر، ص15.